



Jurnal Sarjana Ilmu Budaya

Volume 06 No 03 September 2026

ISSN Online: 2986-0504

Penerbit: Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin

بناء القصيدة وخصائص الشعر في زهديات أبي نواس: دراسة تحليلية أدبية

Ilham Ramadhan

Hasanuddin University, Indonesia. Email: ilhamr@unhas.ac.id

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل بناء القصيدة وخصائصها الفنية في ثلاث قطع من زهديات الشاعر العباسي أبي نواس، وذلك من حيث معاني مفرداتها ومضامينها، وبنائها العروضي (الوزن والقافية)، وخصائصها الأدبية المتمثلة في الأفكار والمعاني، واللغة والأسلوب، والخيال، والعاطفة والشعور. واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستمد بياناته من ثلاث قطع زهدية لأبي نواس مأخوذة من ديوانه بتحقيق علي فاعور (١٩٩٤م)، مستعيناً بالمصادر والمراجع الأدبية والبلاغية ذات الصلة. وأظهرت نتائج الدراسة أن موضوعات هذه القطع تدور حول الزهد والتوبة، وتتمثل أفكارها في الاعتراف بالذنوب العظيمة، والإيمان بشمول شهادة الله على كل عمل، وشدة الحساب يوم القيامة، والرجاء في مغفرة الله ورحمته الواسعة. وتبين أن قافية القطعتين الأولى والثانية من نوع المتواتر، بينما قافية القطعة الثالثة من نوع المتدارك، وأن بحورها على الترتيب: الكامل، والوافر، والكامل. كما تبين استخدام الشاعر أساليب بلاغية متنوعة أبرزها الطباق والقصر والإطناب والإيجاز لتقوية المعنى وتوضيحه، وأن خياله الشعري تمحور حول مشاهد الموت والآخرة تعبيراً عن صراع داخلي بين حياة اللهو وإرادة التوبة، وأن عاطفته اتسمت بالحزن والندم، والاستسلام لله، والأمل في مغفرته. وتخلص الدراسة إلى أن هذه الزهديات تمثل صوتاً مغايراً لصوت أبي نواس الماجن في شعر الخمرة والمجون، إذ يكشف عن ندامة صادقة وإيمان عميق بالله في أواخر حياته.

الكلمات المفتاحية: الشعر الزهدي؛ أبو نواس؛ بناء القصيدة؛ خصائص الشعر.

Abstract

This study aims to analyze the structure and artistic characteristics of three zuhdiyyat (ascetic) poems by the Abbasid poet Abu Nuwas, examining their vocabulary and thematic content, their prosodic structure (meter and rhyme), and their literary features, namely ideas and meanings,

language and style, imagination, and emotion. The study employs a descriptive-analytical qualitative method, drawing its data from three zuhdiyyat excerpts taken from Abu Nuwas's Diwan as edited by Ali Faour (1994), supported by relevant literary and rhetorical references. The findings show that the themes of these poems center on asceticism and repentance, expressed through the confession of grave sins, belief in God's comprehensive witnessing of every deed, the severity of the Day of Judgment's reckoning, and hope in God's vast forgiveness and mercy. The rhyme (qafiyah) of the first and second pieces is of the mutawatir type, while the third is mutadarik; their meters (buhur) are kamil, wafir, and kamil respectively. The poet employs various rhetorical devices — most notably antithesis (tibaq), restriction (qasr), elaboration (itnab), and concision (ijaz) — to reinforce and clarify meaning. His poetic imagination centers on scenes of death and the hereafter, reflecting an inner conflict between a life of indulgence and the will to repent, while his emotions are marked by sorrow and regret, submission to God, and hope for divine forgiveness. The study concludes that these zuhdiyyat represent a voice distinct from Abu Nuwas's licentious wine poetry, revealing sincere remorse and profound faith toward the end of his life.

Keywords: Zuhdiyyat poetry; Abu Nuwas; poem structure; poetic characteristics.

١. مقدمة

يُعدّ أبو نواس، الحسن بن هانئ، بدون شكّ واحدًا من أكثر شعراء العربية شعبية وشهرة؛ فقد فتح للشعراء بابًا في المعاني، وأرشدهم إلى طريق التصرّف في فنونه، وهو أوّل من نهج للشعر طريقته الحضريّة وأخرجه من اللهجة البدوية، ونظم في شتى أغراضه وفنونه. ومن الإنصاف القول إنه شاعر خمرة بلا منازع، وصاحب مدرسة في هذا المضمار لا تقل أهمية عن باقي المدارس الأدبية التي عُرفت في عصره والعصور السابقة له.

وفي الناحية الأخرى، ذكر بعض الباحثين أن أبا نواس لم يكن زنديقًا ملحّدًا، وإنما كان مسرفًا مستهترًا في الخلعة والمجون؛ فغير عجيب أن يتزهد في آخر حياته، بعد أن أشبعت نفسه من المعاصي، ويرى الهراء الذي عاشه بريًا. فإذا قرئت زهدياته لُمست فيها ندامة صادقة وإيمان بالله كبيرًا.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت شعر أبي نواس من جانب الحمريات والمجونيات، فإن جانب زهدياته - وهو الجانب الذي يكشف الوجه الآخر المتناقض لشخصيته الشعرية - لم يحظَ بالقدر نفسه من العناية بتحليل أدبي متكامل يجمع بين البناء الفني للقصيدة وخصائصها الجمالية معًا. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى تحليل ثلاث قطع زهدية لأبي نواس، وهي: القطعة الأولى (حتى متى لا ترعوي؟)، والقطعة الثانية (أنت المجير)، والقطعة الثالثة (أدعوك رب)، لمعرفة

مضامينها، وبنائها العروضي من حيث القافية والبحر، وخصائصها الأدبية المتمثلة في الأفكار والمعاني، واللغة والأسلوب، والخيال، والعاطفة والشعور.

تحاول هذه الدراسة تحليل مضامين القطع الزهدية الثلاث لأبي نواس ومعاني مفرداتها، وشرح بنائها من حيث القافية والبحر، وتصوير خصائصها من حيث الأفكار والمعاني، واللغة والأسلوب، والخيال، والعاطفة والشعور.

٢. منهج البحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي (المنهج الكيفي)، الذي يقوم على وصف الظاهرة الأدبية المدروسة ثم تحليل مضمونها ودلالاتها. وتمثلت بيانات الدراسة في ثلاث قطع زهدية لأبي نواس، مكوّنة من اثني عشر بيتاً (أربعة أبيات لكل قطعة)، مأخوذة من ديوان أبي نواس بتحقيق علي فاعور (فاعور، ١٩٩٤: ١٩١، ٢٨٧، ٥٠١).

واستخدم الباحث أسلوب البحث المكتبي (Library Research) في جمع البيانات، وذلك بالرجوع إلى الديوان بوصفه المصدر الأولي، وإلى عدد من المصادر والمراجع الثانوية المتعلقة بشرح الديوان، والمعاجم اللغوية، وكتب البلاغة والعروض والنقد الأدبي، وبعض الدراسات النظرية في الأدب العربي.

أما خطوات تحليل البيانات فتتمت على النحو الآتي: (١) بيان معاني المفردات الصعبة في كل قطعة بالرجوع إلى المعجم؛ (٢) توضيح مضمون الأبيات ودلالاتها، مع الربط بالآيات القرآنية ذات الصلة؛ (٣) تحليل بناء كل قطعة من حيث القافية (نوعها) والبحر (وزنها العروضي)؛ (٤) تحليل خصائص الشعر في ضوء أربعة عناصر أدبية، هي: الأفكار والمعاني، واللغة والأسلوب، والخيال، والعاطفة والشعور، وذلك بالاستعانة بنظريات أحمد مزكي، وهازم كمال الدين، وعلي الجارم ومصطفى أمين، وفضل حسن عباس، ومنجد مصطفى بجت وعلاء الدين السقيلي، وغيرهم.

٣. نتائج الدراسة وتفسيرها

٣,١ نصوص القطع الزهدية الثلاث

فيما يأتي نصوص القطع الزهدية الثلاث لأبي نواس، كما أوردها علي فاعور في تحقيقه لديوانه (فاعور، ١٩٩٤: ١٩١، ٢٨٧، ٥٠١):

القطعة الأولى: حتى متى لا ترعوي؟

١. أَفَنَيْتَ عُمرَكَ، والدُّنُوبُ تَزِيدُ والكاتِبُ المِخْصِي عليك شهيدُ
٢. كَمْ قُلْتُ لَسْتُ بِعائِدٍ فِي سَوْءَةٍ وَنَذَرْتُ فِيهَا ثُمَّ صِرْتُ تَعُودُ
٣. حَتَّى مَتَى لَا تَرَعَوِي عَنْ لَدَّةٍ وَحِسَابُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ شَدِيدُ
٤. وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ أَتَيْتُكَ مَنِيَّةً لَا شَكَّ أَنَّ سَبِيلَهَا مَوْرُودُ

القطعة الثانية: أنت المجير

٥. أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
٦. أَنَا الْعَبْدُ الْمُقَرَّرُ بِكُلِّ ذَنْبٍ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْغَفُورُ
٧. فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعْلِي وَإِنْ تَغَفَّرَ، فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ
٨. أَفَرَّ إِلَيْكَ مِنْكَ، وَأَيْنَ إِلَّا إِلَيْكَ يَفَرُّ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ

القطعة الثالثة: أدعوك ربّ

٩. يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثَرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
١٠. إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فِيمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرُمُ
١١. أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرَّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
١٢. مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

٣,٢ معاني المفردات ومضامين الآيات

وردت في هذه القطع مفردات تحتاج إلى توضيح، منها: (فَنِي) بمعنى استنفد؛ و(الكاتب) ويُقصد به هنا الله عز وجل الذي يُحصي كل شيء؛ و(ترعوي) بمعنى تكفّ وتتيقّظ؛ و(المجير) هو المغيث، ويُستجار به ويُلتجأ إليه؛ و(المقرّر) هو المعترف بذنبه؛ و(جدير) بمعنى قدير ومُستحقّ؛ و(يفرّ) بمعنى يهرب ويلود؛ و(عظمت) بمعنى ازدادت؛ و(يلود) بمعنى يفرّ، والمقصود

أنَّ المجرم يستجير بمن يشفع له عند الله؛ و(تضرّعاً) بمعنى استغاثَةً وابتهالاً؛ و(الوسيلة) بمعنى الوساطة والذريعة (الحاوي، ١٩٨٣؛ منور، ١٩٩٧: ١٠٧٥).

وهذه الأبيات من القطع الزهدية عند أبي نواس، إذ يطلب فيها الصفح والغفران والعفو من الله عزّ وجلّ؛ فأبو نواس في شعره الزهدي يمتطي جناح التوبة والغفران، ويأمل من الله المغفرة، ويؤمن بأنّ للنبي صلى الله عليه وسلم حقّ الشفاعة، وأنّ زهده ما هو إلا الانفعالات التي راودته أيام اللذة، فرجاها بالاعتذار من خالق غفور، وهو يدرك أنّ لديه ذنوباً كثيرة، وليس له من عذاب الله مغيثٌ سواه، ويتوكّل على ربّه ليقبل توبته أو يرفضها.

ففي القطعة الأولى يُنذر الشاعر الناس إلى أنّ عمره في كل يوم ناقص، وكذلك ذنوبه في كل يوم زائدة، والله بصير وعليم بما يفعلون، مضيئاً أنّ على المرء أن يعاهد نفسه على ترك السوء، لكن سرعان ما يعود إلى العمل السيئ. ويشرح الشاعر أنّ كل عمل محسوب عند الله يوم الحساب، كما قال تعالى في سورة الزلزلة: “فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ” (الزلزلة: ٧-٨)، وفي البيت الأخير يوضّح الشاعر أنّ الموت يوم لا ريب فيه، وأنّ كلّنا بابّ داخل، كما قال تعالى: “كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ” (آل عمران: ١٨٥).

أمّا في القطعة الثانية فيُحاوّر الشاعر نفسه بأنه ليس له من عذاب الله مُساعد إلا المغفرة، وهو يُحقّق أنّه العاصي والمخطئ طوال عمره، ويعترف أنّ الله الغفور الرحيم، كما قال تعالى: “وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا” (النساء: ١١٠)، ويدرك أنّ خير مفرٍّ للمستجير مغفرةُ الله عزّ وجلّ.

وفي القطعة الثالثة يشعر الشاعر بالاعتراف بأنّ ذنوبه عظيمة، ولكنّ عفو الله أعظم منها، ويعترف أنّ الله يحبّ الحسنيين ويرحمهم ويغفر لهم، ويسأل كيف يفرّ المجرم وأين يطلب العفو والمغفرة، وأخيراً يقول الشاعر إنّ الرجاء هو الوسيلة الوحيدة لتسليم أمره لرحمة الله، وتكوين الناجحين في الدنيا والآخرة.

٣,٣ بناء القصيدة

القصيدة عند النقد العربي القديم هي ما تمّ شطر أبياته أو شطر أبيته، ويذهب الفراء إلى أنّ “القصيد” مأخوذ من “المخّ القصيد”، وهو المتراكم بعضه على بعض، أو المخّ السمين الذي يُقصد (أي يُتكسّر) لِسْمَنَه. أمّا عند النقد الحديث فبناء القصيدة يُقصد به تراكم العناصر والقوى التي تتظاهر على نحو يتمّ فيه تكامل المعاني الشعرية المتبلورة في حقائق لغوية، فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالمٌ متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطّردة (بكار، ١٩٨٢: ٢٢). وبناء القصيدة مصطلح نقدي يُطلق على بناء الشعر وطريقة صياغته وتركيبه، كما قال ابن قتيبة (ت ٢٨٦هـ)، وهو أوّل من تعرّض لهذه

القضية بشيء من التفصيل، فإنّ بناء القصيدة هو عبارة عن القواعد والأصول التي تحدّد أفكار الشاعر وتسلسلها ونظام تأليفها وربطها (بمجت والسيقلي، ٢٠١٣: ٢٤-٢٥).

أمّا بناء القطع الثلاث لأبي نواس، فمن حيث عدد أبيات الشعر يُسمّى هذا الشعر “قطعة” لأنّه يتكوّن من أربعة أبيات في كل قطعة. وأمّا القافية، فقافية القطعتين الأولى والثانية من نوع “المتواتر”، وهو أن يقع بين ساكنيها متحرّك واحد، كما في قوله في القطعة الأولى: “أفنيّت عمرك، والذنوبُ تزيدُ، والكاتبُ المحصي عليك شهيدٌ”، وقوله في القطعة الثانية: “أيا مَنْ ليس لي منه مجيّر، بعفوك من عذابك أستجير”. وأمّا قافية القطعة الثالثة فمن نوع “المتدارك”، وهو أن يتولّى حرفان متحرّكان بين ساكنيها، كما في قوله: “يا ربّ إنّ عظمتُ ذنوبي كثرةً، فلقد علّمتُ بأنّ عفوك أعظم” (الهاشمي، ١٩٩١: ١٢).

وإذا حُلّل هذا الشعر بعلم العروض وُجد أنّ لكل قطعة بحرًا مختلفًا؛ فمصطلح “البحر” جمع “البحر”، والبحر في اصطلاح العروضيين هو الوزن الموسيقي الذي تسير عليه القصيدة في أبياتها جميعًا (الهاشمي، ١٩٩١: ١٢). وبحور أشعار أبي نواس الثلاثة هي: بحر الكامل للقطعة الأولى، وبحر الوافر للقطعة الثانية، وبحر الكامل للقطعة الثالثة. أمّا مقصد هذه القطع، فإنّها تبتدئ بذكر الذنب العظيم، ثم الإدراك بأنّ مغفرة الله أعظم منه، وفي النهاية يذكر الشاعر الموت ويتوب إلى الله.

٣,٤ خصائص الشعر

٣,٤,١ الأفكار والمعاني

تُعرّف الأفكار بأنّها الإرشاد الأساسي الذي يعتمد عليه العمل الأدبي، وهي تتأثر بعوامل خارجية كالعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها، ولا بدّ أن تكون الأفكار التي يقدّمها الأديب متعلّقة بالموضوع والأوضاع المعيّنة، ومرتبطة بثلاثة مبادئ أساسية هي: الصدق، ووفرة الحقائق، والوضوح (٧١: ٢٠٠٦، Muzakki). أمّا المعاني فهي الموضوع المصوّر في العمل الأدبي، سواء أكان فكرة أم قضية أم شعورًا يتّجه الكاتب إلى كتابته بشكل الأدب (بمجت والسيقلي، ٢٠١٣: ٩٣).

وتدور موضوعات القطع الزهدية الثلاث لأبي نواس حول الزهد والتوبة، وتتمثّل أفكارها فيما يأتي:

(a) اعتراف أبي نواس بذنبه العظيم، كما في قوله في القطعة الأولى: “أفنيّت عمرك، والذنوبُ تزيدُ”، وقوله في الثانية: “أنا العبدُ المقرّر بكلّ ذنبٍ”، وقوله في الثالثة: “يا ربّ إنّ عظمتُ ذنوبي كثرةً”.

(b) إيمانه بأنّ الله شهيد على كل ما يفعله عبده، كما في قوله: “والكاتبُ المحْصِي عليك شهيدٌ”.

(c) وعيه بأنّ عذاب الله شديد، كما في قوله: “وحسبُها يومَ الحسابِ شديدٌ”.

(d) إدراكه بأنّ رجاء العبد إلى الله يكون إمّا محسناً وإمّا مجرماً، كما في قوله: “إنّ كانَ لا يَرْجوكَ إلّا مُحسنٌ، فيَمَنْ يَلوُدُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ”.

(e) شهادته بعفو الله ومغفرته الواسعة، وإيمانه بأنّ الله يغفر لمن يتوب إليه، وهو الغفور الرحيم، كما في قوله: “فلقد عَلِمْتُ بأنّ عَفْوَكَ أعظمُ”.

وهذه القطع الزهدية تمثّل - بحسب إيليا الحاوي (١٩٨٣) - صوتاً مغايراً لصوت أبي نواس الماجن الذي عُرف بشعر الخمرة والمجون؛ إذ صوتان متناقضان يصدران في حنجرة واحدة: ففي زهده يتعلّق بجلال السماء، فيغسل أدرانته بماء التوبة، ويصهر نفسه بالرجاء. أمّا نسكه وتوبته بوجه عام فلم يكونا جادّين طوال حياته إلّا فيما قبل وفاته، غير أنّه في زهدياته يذكر الفناء ويوم الحشر، ويؤمن بقضاء الله وقدرته، فالله سميع عليم، يجيب الدعوات، ويغفر الذنوب، وهو الملك الرؤوف الحكيم.

٣,٤,٢ اللغة والأسلوب

عرّف ابن جنيّ اللغة بأنّها أصوات يُعبّر بها عن أغراض كل قوم. وللغة في معجم المصطلحات اللسانية معنيان: المعنى الخاص، وهو وظيفة التعبير الكلامي عن الفكر داخلياً وخارجياً؛ والمعنى العام، وهو كل نسق من العلامات يمكن من التواصل. أمّا في معجم اللسانيات لاروس فتُعرّف اللغة بأنّها القدرة على التواصل بواسطة نسق من العلامات الصوتية “اللسان”، وهي قدرة تتطلّب وظيفة رمزية ومراكز عصبية متخصصة وراثياً (Tajuddin، ٢٠٠٨: ٣١).

أمّا الأسلوب فهو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصدًا للإيضاح والتأثير. وعند هازم كمال الدين الأسلوب هو طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة (كمال الدين، ٢٠٠٩: ١٩)، ويرى علي الجارم ومصطفى أمين أنّ الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلّفة على صورة أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه (الجارم وأمين، ١٩٩٩: ١٢).

وقد استخدم أبو نواس في زهدياته الثلاث عددًا من الأساليب البلاغية، أبرزها:

(a) الطباق، وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام (ابن صالح، ٢٠٠٣: ١٠٣)، كما في قوله: “فإن عذبتني فسوء فعلي، وإن تغفر، فأنت به جدير” (بين “عذب” و “غفر”)، وقوله: “إن كان لا يرجوك إلا محسن، فيمن يلود ويستجير المجرم” (بين “محسن” و “مجرم”).

(b) القصر، وهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص (ابن صالح، ٢٠٠٣: ١٠٣)، كما في قوله: “إن كان لا يرجوك إلا محسن...” (قصر الرجاء على المحسن)، وقوله: “ما لي إليك وسيلة إلا الرجا” (قصر الوسيلة على الرجاء).

(c) الإطناب، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة (مطلوب، ١٩٧٩: ٢٢٩)، ويظهر في هذا الشعر عمومًا، حيث لا يذر الشاعر في استخدام الكلمات لغرض واحد قليل، فكل بيت يتضمن هدفًا واحدًا كالإدراك بعظم ذنوبه، والاعتراف بأن مغفرة الله أعظم منها، والرجاء لعفو الله ورحمته.

(d) الإيجاز، وهو قصد اللفظ مع وفاء المعنى، أو استثمار أقل قدر من الألفاظ في أكبر قدر من المعنى (عباس، ١٩٧٩: ٤٥٧)، ويظهر أسلوب الإيجاز في الجملة الأخيرة “ثم أيّ مسلم”؛ فكلمة “مسلم” تحتوي على معانٍ كثيرة تكشفها هذه الجملة القصيرة، إذ المقصود أنّ الإسلام ليس في المجال الديني فحسب، بل في الطبائع والأعمال أيضًا، لأنّ أبا نواس - كما عرفناه - مسلمٌ، ولكنّ طبيعته وجنونه لم يكونا على قدر إسلامه (بهجت والسيقلي، ٢٠١٣: ٣٩-٤٠).

٣,٤,٣ الخيال

الخيال لغة من “خال” بفتح الخاء وتخفيف المثناة التحتانية، وبالفارسية بمعنى “يندار”، وهو ما تشبّه لك في اليقظة والحلم، وتعني ما يُرى في النوم من شخص أو صورة، أو ما يتخيّله الإنسان في اليقظة (بهجت والسيقلي، ٢٠١٣: ٣٩-٤٠). وأمّا الخيال اصطلاحًا عند الشعراء فهو إيراد ألفاظ مشتركة تشمل على معنيين، أحدهما حقيقي والثاني مجازي، وتعني بهما أن يكون مجازًا اصطلاحيًا مع إيراد لطيفة أو مثل، وكل معنى شامل لمعنيين؛ وأن يتطرق الخيال للحقيقة، أي أنّه تُشاهد صورة المعنى من جهة، ومن جهة أخرى يبدو الخيال (التهانوي، ١٩٩٧: ٧٦٨-٧٦٩). أمّا الخيال الشعري فهو بواعث خارجية يلتقطها الشاعر ممّا حوله، فتتميّها أفكاره، ويعرضها بصورة تُشعر القارئ بأنّه يسبح في عوامل بعيدة عن الواقع (التونجي، د.د: ٤١٩).

وخيال أبي نواس في شعره الزهدي أنّه يزهد في الدنيا، ويظهر له شبح الموت بأورع مظاهره، فيلتجئ إلى الله ويستتبعه، وإلى نفسه يعظها، ويملّ ما فيها من هو وعبث، فتهدأ حياته الهوجاء، ويوسوس اليأس في صدره، فيرى قبره بين القبور وهو حيّ،

فيتخيّر زاد التقوى والغفران والرحمة من الله، كما قال في القطعة الأولى: “وكأنني بك قد أُنْتُكَ مَنِيَّةً، لا شك أن سبيلها مَرُودٌ”. وقال جعفر خريباني إنَّ أبا نواس في هذا الشعر يرى الموت يهجم على حياته، كما هجم المشيب على الشباب، فلا يفرّ منه أحد، وكيف سيؤول مصيره وقد تقلّد من الخطايا الكبار، كأنّه أَمِنَ العقاب، فيتمثّل في آيات الرحمن حيث يُحاسب كل امرئ بما كسبت يده، فأين عذر الشاعر عندها، وبأية حجة يحتج بها، فإنّما أن يخلد في جنة أو في نار (خريباني، ١٩٩٠: ٦٩).

٣,٤,٤ العاطفة والشعور

العاطفة في المعجم: القربة، وأسباب القربة، والصلة من جهة الولاء، والشفقة، وهي من الفعل “عطف يعطف” بمعنى حنا وأمال. وفي معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، كانت العاطفة بمعنى الحالة الوجدانية التي تتميز بالاستقرار والدوام وتُعد العنق والثورة اللذين يميّزانهما عن الانفعال، ونتيجةً على وجود هذه الحالة، الميل إلى الشيء أو الانصراف عنه. وأمّا الشعور فهو الإدراك بلا دليل والإحساس (بمجت والسيقلي، ٢٠١٣: ٧٩-٨٠). وهناك مقياس لتعريف وتقدير عاطفة وشعور الشعر، وهي: صدق العاطفة، وقوّة العاطفة، وثبات العاطفة، وتنوّع العاطفة، وسموّ العاطفة (٢٠١١، Muzakki: ٧٦-٨٠).

وأما عاطفة أبي نواس وشعوره وهو يكتب هذا الشعر فتتمثّل فيما يأتي:

(a) الحزن والندم؛ يحزن الشاعر لكثرة ذنوبه، ويندم على ذنوبه العظيمة التي فعلها في الزمن الغابر، حتى أنشأ الشعر العاطفي المؤثّر في نفس السامع، كما قال في القطعة الأولى: “أفنيّت عمرك، والذنوبُ تزيد”، وفي الثانية: “أنا العبدُ الموقرُ بكلّ ذنبٍ”، وفي الثالثة: “يا ربّ إن عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثُرَتْ”.

(b) الاستسلام بتوفير الله؛ كما قال في شعره الثاني: “فإنّ عَذَّبَنِي فِسْؤُي فِعْلي، وإنّ تَغَفَّرَ، فأنتَ به جديرٌ”، وفي القطعة الثالثة: “أدعوك ربّ كما أمرتَ تضرّعا، فإذا رَدَدْتَ يدي فَمَنْ ذا يَرْحَمُ”.

(c) الأمل في مغفرة الله؛ كما قال في قطعته الثالثة: “ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرّجا، وجميلُ عَفْوكَ ثمّ أيّ مُسْلِمٍ”.

٤. الخاتمة

بناءً على التحليل السابق، يمكن استخلاص النتائج الآتية: أولاً، تدور موضوعات القطع الزهدية الثلاث لأبي نواس حول الزهد والتوبة، وتتمثّل أفكارها في الاعتراف بالذنوب العظيمة، والإيمان بأنّ الله شهيد على كل عمل، ووعي الشاعر بشدّة

الحساب يوم القيامة، وإدراكه بأنّ الرجاء إلى الله يكون إما محسناً وإما مجزماً، وشهادته بعفو الله ومغفرته الواسعة. ثانيًا، من حيث البناء العروضي، فقافية القطعتين الأولى والثانية من نوع المتواتر، وقافية القطعة الثالثة من نوع المتدارك، وبحورها على الترتيب: الكامل، والوافر، والكامل، وتسير هذه القطع في بنائها من ذكر الذنب العظيم إلى الإدراك بأنّ مغفرة الله أعظم منه، وتنتهي بذكر الموت والتوبة إلى الله. ثالثًا، تتسم لغة هذا الشعر وأسلوبه باستخدام الطباق والقصر والإطناب والإيجاز لتقوية المعنى وتوضيحه. رابعًا، يتمحور خيال الشاعر حول مشاهد الموت والآخرة، معبرًا عن صراع داخلي بين حياة اللهو التي عاشها وإرادة التوبة التي تملكته في أواخر حياته. خامسًا، تتسم عاطفة الشاعر بالحزن والندم على كثرة الذنوب، والاستسلام لله، والأمل في مغفرته ورحمته.

وتخلص هذه الدراسة إلى أنّ زهديات أبي نواس الثلاث تمثل صوتًا مغايرًا لصوته الماجن المعروف بشعر الخمرة والمجون، وتكشف عن ندامة صادقة وإيمان عميق بالله، وإن كان نسكه وتوبته بوجه عام لم يكونا جادّين طوال حياته إلا فيما قبل وفاته. وتوصي هذه الدراسة بإجراء بحوث لاحقة تقارن بين زهديات أبي نواس وخمرياته أو مجونياته من الناحية الأسلوبية والعاطفية، أو تقارن بين شعره الزهدي وشعر الزهد عند شعراء آخرين من العصر العباسي، لتعميق فهم هذه الظاهرة الأدبية والنفسية المتناقضة في شخصية الشاعر الواحد.

المراجع

- ابن صالح، عبد الواحد. (٢٠٠٣م). البلاغة العربية: علم المعاني والبديع. سلاخور: دار الشاكر.
- الجارم، علي، وأمين، مصطفى. (١٩٩٩م). البلاغة الواضحة. بيروت: دار المعارف.
- الحاوي، إيليا. (١٩٨٣م). شرح ديوان أبي نواس. بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.
- الهاشمي، محمد علي. (١٩٩١م). العروض الواضح وعلم القافية. دمشق: دار القلم.
- التهانوي، محمد علي. (١٩٩٧م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: رفيق العجم، تعريب: علي دحروج.
- بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ج ١.
- التونجي، محمد. (د.ت). المعجم المفصل في الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- بكار، يوسف حسين. (١٩٨٢م). بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث (ط٢). بيروت: دار الأندلس.

بمجت، منجد مصطفى، والسيقلي، علاء الدين. (٢٠١٣م). معجم مصطلحات نظرية الأدب. كوالالمبور: دار التجديد.

خريباتي، جعفر. (١٩٩٠م). أبو نواس الحسن بن هانئ. بيروت: دار الكتب العلمية.

عباس، فضل حسن. (١٩٧٩م). البلاغة فنونها وأفنانها. عمان: دار الفرقان.

العقاد، عباس محمود. (د.ت). أبو نواس الحسن بن هانئ. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

فاعور، علي (محقق). (١٩٩٤م). ديوان أبي نواس. بيروت: دار الكتب العلمية.

كمال الدين، هازم علي. (٢٠٠٩م). علم الأسلوب المقارن. القاهرة: مكتبة الأدب.

المرزوقي، أبو علي. (١٩٥١م). شرح ديوان الحماسة. تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون (ط١). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.

مطلوب، أحمد. (١٩٧٩م). أساليب بلاغية. الكويت: وكالة المطبوعات.

منظور، ابن. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار المعارف، ج ٥.

Munawwir, Ahmad Warson. (1997). Al-Munawwir: Kamus Arab-Indonesia. Yogyakarta: Pustaka Progressif.

Muzakki, Akhmad. (2006). Kesusastraan Arab: Pengantar Teori dan Terapan. Yogyakarta: Al-Ruzz Media.

Muzakki, Akhmad. (2011). Pengantar Teori Sastra Arab. Malang: UIN-Maliki Press.

Tajuddin, Shafruddin. (2008). Ilmu Dalalah (Sebuah Pengantar Kajian Semantik Arab). Jakarta: Penerbit Maninjau.